

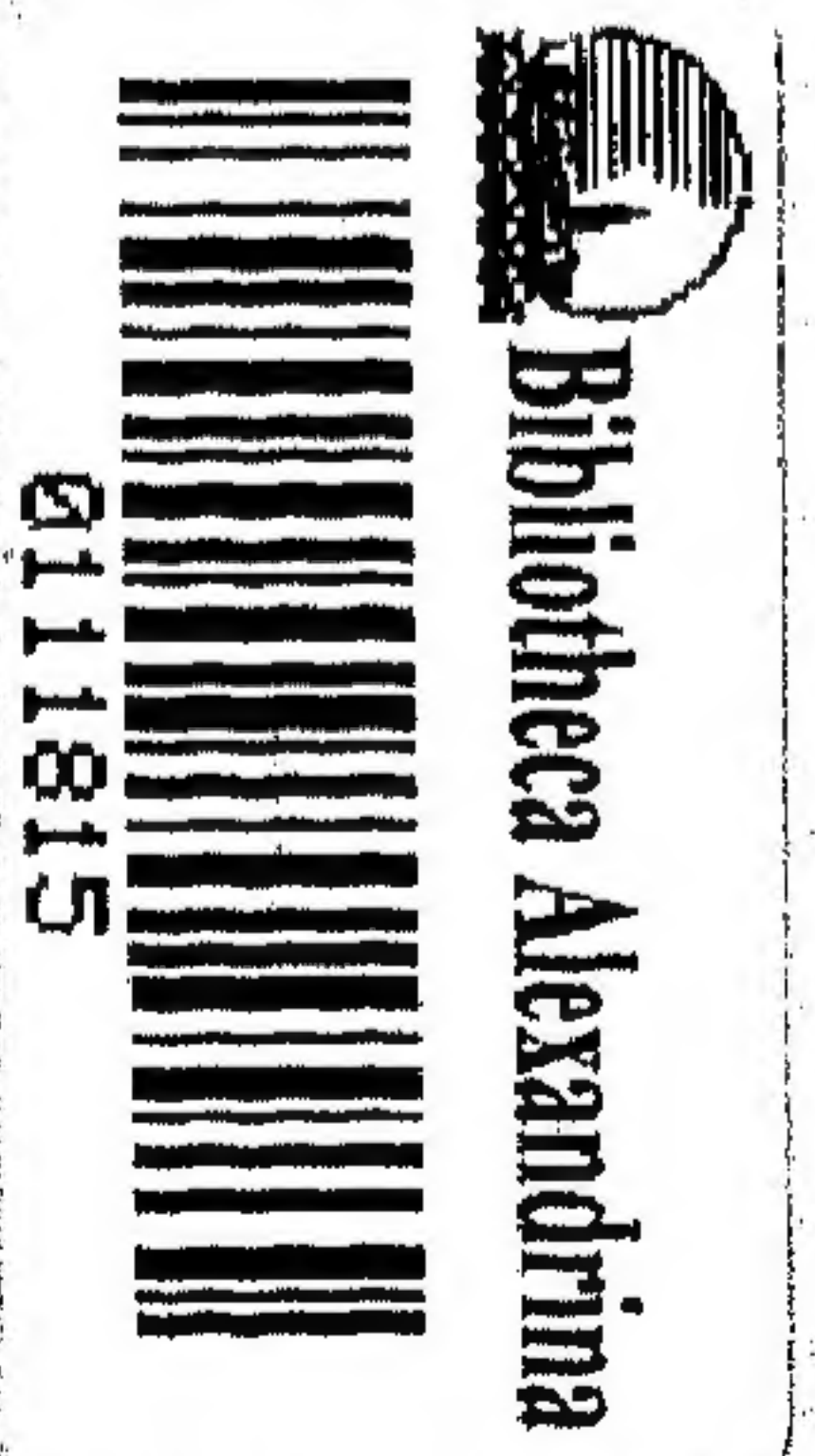
سِيسِيلِيَا مِيزَايل

مشكلات الأدب الطفلي

نُزَيْدَةُ

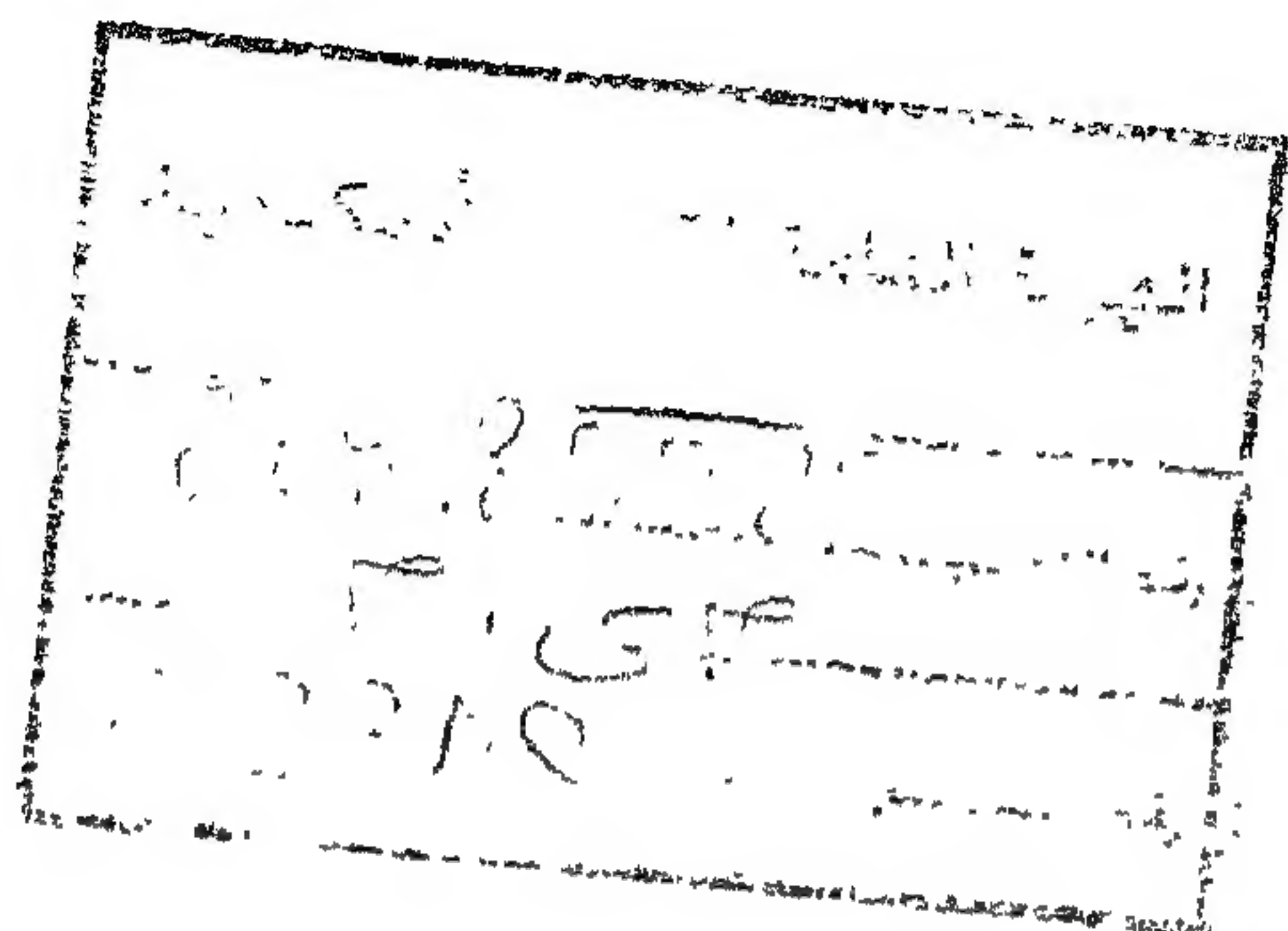
تَرْجَمَةُ: مَهَا عَرَنُوق

دراسات نقدية عالمية
(٣٣)



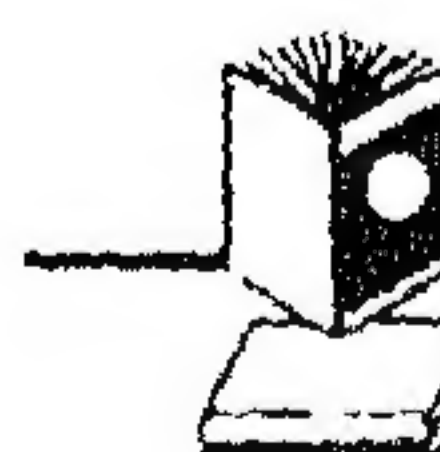
الإشراف الفني :
زهير المحمّد

سَيِّدُيَا مِيزَايِل



مشكلات الأدب الطفلي

ترجمة: مهاعرنوق



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

١٩٩٧

دمشق

العنوان الأصلي للكتاب:

CECÍLIA MEIRELES

PROBLEMAS
DA LITERATURA

مشكلات الأدب الطفلي = Problemas da literatura infantil /
سيسيليا ميراييل ؛ ترجمة مها عرنوق . - دمشق : وزارة الثقافة ،
١٩٩٧ . - ١٥١ ص : مص ؛ ٢٤ سم . - (دراسات نقدية عالمية ؛ ٣٣) .

١- ٨٠٨ ر ٠٦ م ي ر م ٢- العنوان ٣- العنوان الموازي
٤- ميراييل ٥- عرنوق ٦- السلسلة
مكتبة الأسد

الايداع القانوني : ع - ١٥١٠ / ١٠ / ١٩٩٧

دراسات نقدية عالمية

« ٣٣ »

تمهيد

عندما لمعت في ذهني ، للمرة الأولى ، فكرة ترجمة هذا الكتاب ، وجدت نفسي أمام حلم كبير ، أمام مشروع ليس بالسهل لانسانة حديثة العهد بتعلم اللغة البرتغالية ، بخاصة وأنه (أي الكتاب) لأديبة وشاعرة معروفة بعمق وجمال لغتها البرتغالية القديمة ، وبذوقها الشعري في اختيار وسبك الالفاظ الاكثر تجذراً في هذه اللغة .

لكن الموضوع الممتع للكتاب (مشكلات الادب الطفلي) والذي يشكل بؤرة الضوء في اهتمامات وجهود ، امتدّ عمرها على مدى يتجاوز العشرين عاماً ، في مجال تربية وثقافة الطفل ، جعل بارقة الأمل التي لاحت للمرة الأولى تكبر وتكبر حتى أصبحت بحجم الحلم . . . وهكذا كانت البداية . . .

لا أنكر أنها كانت ، بالنسبة لي ، مغامرة ، لكنها مغامرة لذيذة ، في طريق بدا شائكاً ، وضعت قدمي على بدايته ، وصمّمت أن أسير حتى النهاية ، لشعوري الأكيد بأن المكتبة العربية ، وهي التي تغصّ بالكتب التي كتبت للاطفال من قصص ومسرحيات وشعر ، بحاجة الى موضوع كهذا ، يفتح نافذة تطلّ على معوقات الكتابة للاطفال ،

وتشير بالاصبع الى مكان الخطأ فيها ، إضافة الى كون هذا الموضوع شاهداً أدبياً لا حدى أدبيات أمريكا اللاتينية ، ممن كرسن جزءاً كبيراً من حياتهن لهذا الغرض النبيل ؛ أي العمل في مجال تربية وثقافة الطفل . وهي أول من أسّس مكتبة للاطفال في بلادها .

واذا كانت الكاتبة تشير منذ المقدمة الى أنها لا تدّعي «أن تعطي حلاً للمشكلات التي لا تعدّ في الادب الطفلي» . لكن عرضها وحده ربما يكون كافياً للتنبيه لمن أراد أن يخوض في هذا العالم السريّ البهيج ، عالم الطفولة الواسع الذي تغلفه البراءة والعفوية ، ويشعّ من داخله «الغموض والوضوح» ، التنوّع والتلون ، مما يشدّك ، رغماً عنك ، الى الولوج بحثاً عن كنوز نادرة الوجود في مراحل عمرية أخرى من حياة هذا الكائن الانساني . اقول ربما كان عرض هذه المشكلات تنبيهاً الى ضرورة الحذر والتأني ، الى أبعد الحدود ، لكل من يلج الى هذه (المملكة السحرية) حتى لا يؤدي حساسية وشاعرية الطفل ، ولو بوخزة شوكة صغيرة ، مهما كان جمال الوردية التي تحملها .

ويجدر بي هنا أن أشير الى التشجيع الذي كنت ألقاه ممن حولي ، والذي كان بحق الدافع للاستمرار حتى النهاية . وتقديراً منّي لهؤلاء ، واعترافاً بجميلهم ، أذكر منهم الدكتور باسل فرحات ، والدكتورة كلود حجار ، والدكتور أديب حنا ، وواحداً من طلابي من الذين كانوا يتعلمون اللغة العربية وأحبّوها كثيراً ، واسمه «سمير باولينو» (برازيلي الأصل) والذي كان له الفضل الأكبر في لفت

نظري الى هذه المربية والأديبة العظيمة والذي أيضاً كنت ولا زلت أحمل له محبة الأم لابنها .

لهؤلاء جميعاً أتقدم بخالص شكري وامتناني ومحبتتي وتقديري واخص منهم الدكتور باسل فرحات ، الذي تفضل ، مشكوراً ، بمراجعة هذا الكتاب ، وكانت آراؤه قد تركت في نفسي اعمق الأثر .

وأيضاً لزوجي العزيز الذي نشر حولي مناخاً ربيعياً رائعاً . فكنت كلما شعرت بالوهن حملت اليّ كلماته أنفاساً جديدةً معطرةً بتنوع أزاهيره (المناخ الربيعي) ، أعادت الراحة وجددت العزيمة .

ولا بد من التنويه ، أنني بترجمة هذا الكتاب من البرتغالية الى العربية بذلت قصارى جهدي لأحافظ على روح النص الأصلي للكاتبة ، لأنقل بأمانة ما أرادته بالضبط من كتابها هذا .

وكنت كلما مضيت في التجربة شعرت بقيمة تلك الكاتبة المنطلقة من فهم عميق للطفل ، ولحاجات عالمه البديع ، والشاملة -الى حدّ- المشكلات التي يتعرض لها الأديب عندما يكتب للأطفال ، والرافضة لكل ما يقرّره الكبار في مجال صلاحية ومناسبة هذا الكتاب ، أو ذاك للأطفال ، وتصنيفه ، بالتالي ، ضمن «الأدب الطفلي» .

ان «سيسيليا ميراييل» لم تفعل ذلك ، بل تضعك ، ومنذ الصفحات الأولى ، في حقل الشك ، عندما تطرح السؤال (هل يوجد «أدب طفلي» سابق لما يقرّره الاطفال) في هذا الشأن؟

[لقد اعتدنا ان نصنّف كل ما كتب للاطفال على انه «أدب طفلي»]. ووفق ذلك [يكون «الكتاب الطفلي» على الرغم من أنه كتاب موجّه للطفل، من خلق وقصد الكبار. وبالتالي سينقل للأطفال وجهات النظر التي يعتبرها هؤلاء اكثر فائدة لتنشئة قرائها؟

«واحدة من الصعوبات المبدئية، ضمن هذا المفهوم العام، هي معرفة ماذا يوجد، في الكبار، من طفولة، حتى يستطيعوا التواصل مع عالم الطفولة، وماذا يوجد في الطفل مما عند الكبير، حتى يتقبّل ما يقدّم اليه من الكبار» لا بل تعتبر الكاتبة «أن قليلاً من الانتباه لقراءة ما « من قبل الطفل «لا يكفي للقول: إن هذا الكتاب لقي إعجاباً أو موافقة».

إذاً ما الكتاب الذي يلقي اعجاب وموافقة الطفل؟ وهل يوجد فعلاً أدب طفلي سابق؟ هذا ما تقدمه «سيسيليا ميراييل» في كتابها هذا.

وتستمر في عرضها الجذّاب للأفكار، المشوب بنفخات شعرية لا تخفى على أي قارئ، مما يبعدك عن السرد المألوف في مثل هذه الحالة؛ اذ تخاطبك المؤلفة بالنثر وكأنها تنظم شعراً، تقدّم الفكرة وكأنها تتحاور حولها «آه! أنت كتابٌ بسيط (لا تتباهي) في ظلّ رفٍّ، ربما طفل ما، بكل حرية، اكتشف اغراءك... نعم انت كتاب طفلي، وستحظى لديه بمكانة تبقى، في الحقيقة، خالدة».

«آه! أيتها الحرية - كم جريمة ارتكبت باسمك!»

ولم تأل جهداً في استعراض الكثير من الأمثلة لتقنعك بصدق

ما تقول ، فتشاركها ، وتسير معها من فكرة الى فكرة مشدوداً الى ما تفاجئك به من شواهد من الأساطير القديمة ، ومن الأدب الكلاسيكي العالمي لتقول لك مؤكدة : أن هذه القراءات ، اضافة الى سير حياة اللامعين ، كانت القراءات الأولى والمفضلة لدى اطفال الماضي .

[كان الصغير «غوته» يتسلى بالمجموعات القصصية الخرافية والاسطورية ؛ وبكتاب «مسوخ أوفيديو» ، كما كان يسرّ كثيراً بالانطباعات الحلوة التي كانت تتركها في نفسه مغامرات «تلماكو»].

[مغامرات «تلماكو» أثرت ، بشكل مفيد ، على تكوين ذوق عدد لا يحصى من قرائها - مما يسمح لنا بالقول بان هذه المغامرات كانت الكتاب الكلاسيكي للقراءة الطفلية - الشبابية ، حتى القرن الثامن عشر في فرنسا ، وحتى في خارجها]. وواحد من هؤلاء «رينان» الذي صرّح «بالافتتان ، الذي شعر به خلال تعايشه مع تلك المغامرات» .

وهذا «مونتان» بدوره «يروي لنا خبراته الأولى» :

[للمرة الأولى التي تذوّقت فيها الكتب ، كانت بسبب السرور الذي كنت اشعر به عندما كنت أقرأ القصص الخرافية «المسوخ أوفيديو» . . . بالاضافة الى ذلك كنت أقرأ ، «لانسيلوتي دي لاغو» ، «أماديس» ، و«هونس دي بودس» ورزما أخرى مشابهة ، من الكتب التي كانت تسليّ الطفولة].

«اندرسن» مثلاً [عاش طفولة فقيرة لكنها شاعريّة! غالباً ما كان أبوه يقرأ في الليل، وبصوت عالٍ، مقاطع من الكتاب المقدس للأسرة، كما كان يقرأ أيضاً مقاطع «لفونتان»، «لهولبرغ» أو من «ألف ليلة وليلة»]. أما الأحداث الرومانسية لكتاب «لاستري» «لدورفي» فقد كان يقول عنها «لافونتان»:

[كنت صغيراً، كنت أقرأ الرومانسية فيه (في الكتاب)

ولازلت أقرأها ولي حية مشوبة بالبياض]

[«لينكولن» الصغير كان يقرأ باهتمام عميق حياة واشنطن واغسطين تيارى]. [«مدام رولان» كانت متشربة جداً الحياة اللامعة لـ«بلوتاركو» و«روسو»]. وغيرهم من الامثال الكثيرة الكثيرة..

وتمضي «سيسيليا ميراييل» بعرضها الشيق للأدب الطفلي، الذي يعتبر، من وجهة نظر خاصة، تأريخاً له، إذ أنها تنطلق من بداياته الشفوية، التي انتقلت بالذاكرة عبر الأمثال الشعبية، والحزازير، واغاني المهد، وحكايات الجدات، مروراً بالعصور المختلفة، ووصولاً الى الأدب المكتوب في عصرنا الحاضر

وتتساءل «هل سيكون بمقدورنا ان نقترح أدباً يكون بمثابة قاعدة جامعة تفيد كل الأطفال في العالم؟» ان «تنظيم مختارات أدبية قد يكون مساهمة ناجحة لوضع الصفحات الأكثر جمالاً، في العالم، في متناول كل الأطفال» أضف الى ذلك «سيرة حياة المهمين المعاصرين التي تؤثر كقوة حقيقية نابضة باستمرار، حياة المهمين اللامعين في الماضي..»

ترى هل توفق ، وهل تصل الى نتيجة محددة وناجعة؟
هل تستطيع ان تجسد رغبتها [في تأسيس مكتبة طفلية على
مستوى العالم تجهز للطفولة في كل بلد ، من اجل توحيد الثقافة في
قواعد ، يمكن ان تدعى ، وبشكل هامشي ، «الانسانية الطفلية؟»
هذا ما سنجده مع «سيسيليا ميراييل» التي ارتأت ، في نهاية
كتابها ، ان تختتم هذه الاعتبارات عن الأدب الطفلي بأبيات منسوبة
الى «باربرا هيليو دورا»

«أيها الاطفال سأملئ عليكم
قواعد للعيش الرغيد
لا تكفي فقط القراءة
بل لا بد من التأمل
ان الدرس لا ينتج حكمة
من يصنع الحكماء هو التفكير»

أتمنى أخيراً ان اكون ، بترجمة هذا الكتاب ، قد أزحت جزءاً
من الستارة عن جمال وابداع هذه المربية والادبية والشاعرة الكبيرة
«سيسيليا ميراييل» ، ومن ثم أضفت زهرة ندية الى حقل المكتبة
العربية التربوية والثقافية ، من منطلق محبة ، وتقدير واحترام بلا
حدود ، للطفل الحبيب ، ولعالمه النقي الخالص والمميز . لذاك الذي
تربيته وثقافته وسعادته هي المبتغى الأول والأخير لكل العاملين في
هذا الحقل الجميل .

ومن الله كل العون

المتريجة

١٩٩٦ / ٨ / ١٨

المقدمة

طبع هذا الكتاب للمرة الأولى في عام ١٩٥١ . وأصله محاضرات ألقته الكاتبة . ثم سُبكت من جديد ، وجمعت في كتاب ليضاف الى «مجموعة تربوية» من قبل أمانة سر التربية في ولاية «ميناس جيرائيس» ، بعد مرور أكثر من ثلاثين سنة .

ومع أن دراسات أخرى ، ومن وجهات نظر جامعية ، أعدت حول هذه المسألة ، دراسات نقدية كانت قد نشرت في مجلات اختصاصية . بحوث في معرفة الكتب أو بحوث تاريخية ، ساهمت في انتشار وتقويم الأدب الطفلي في البرازيل . مع ذلك استمر هذا الكتاب معاصراً ومهماً اليوم ، كما كان مهماً منذ طبعته الأولى . لغته المبسطة جداً ، بدون تقنيات لا فائدة منها ، استمرت حية . وجهات نظره ، التي هي انسانية واسعة ، استمرت مناسبة . عرضه للمشكلات التي أحاطت بالأدب الطفلي ، استمر كاملاً . والحساسية في الكتاب ، التي بدأت معها «سيسيليا ميراييل» الكلام عن مشكلات متعددة اقترحتها . هذه الحساسية هي التي جعلت من

الكتاب عملاً حتمياً لجميع الذين يهتمون، ليس فقط بالأدب، ولكن بشكل أساس بالتربية. وقد برزت فعلاً الشخصية التربوية لسيسيليا ميراييل في كل خطوط هذا العمل.

الكل يعرف شهرة الكاتبة كشاعرة، وشهرتها الكبيرة كمتترجمة. ولكن ليس الكل مطلعاً على اهتمامها بالنشاطات في حقل التربية.

خريجة مدرسة المعلمين في «الريو دي جانيرو-Rio de Janeiro» . مارست ولسنوات عديدة مهمة التعليم الابتدائي. علّمت الأدب البرتغالي البرازيلي، والتقنية والنقد الأدبي في جامعة «ديستريو فدرال: Universidade do Distrito Federal»^(١).

علّمت الأدب والثقافة البرازيلية في جامعة «تكساس» في الولايات المتحدة الأمريكية. كانت صحافية مسؤولة عن قسم مشكلات التعليم في جريدة «الأخبار اليومية: Diário de Notícias» ، وقسم دراسة الفولكلور الطفلي في صحيفة «الصباح Amanhã».

ساهمت في اللجنة الوطنية للفولكلور منذ تأسيسها، وتعتبر المرجع في هذا الموضوع.

حبها الكبير للكتب، الذي هي نفسها تشير اليه «عندما لم أكن اعرف القراءة، كنت ألعب بالكتب، وأتصورها مليئة بالأصوات التي تروي عن العالم».

(١) الجامعة المركزية في البرازيل.

وتكريس نفسها للتربية جعلها تؤسس مكتبة طفلية ، الأولى من نوعها في البرازيل . حاضرت في عدد لا يحصى من المؤتمرات ، ليس فقط في البرازيل ، إنما في خارجها أيضاً .

كانت ، كما نرى ، مربية حقيقية ، بدون اهتمام بالتقنيات الخاصة في هذا المجال ، ولكن بنظر ثاقب للدور الصحيح للتربية .

ومنذ الصفحات الأولى في هذا الكتاب تستطيع ان تشعر بالاحترام -حجر الزاوية في التربية- الذي كانت تبديه سيسيليا ميراييل نحو الطفل «لذلك وبدلاً من أن نصنّف ونحكم على كتاب طفلي ، كما اعتدنا ان نفعل على أساس التقدير العادي لرأي الكبار (بمعيار الكبار) ، فان الأصح ان نعرض الكتاب للتداول -ولا أقصد بقولي النقد- من قبل الطفل ، الذي هو ، في النهاية ، الشخص المهم مباشرة بالقراءة ، والمعبر عن اعجابه إذا اكتفى أو اقتنع بها أم لا . . .» .

كل نشاطاتها عائدة الى التربية التي مارستها في الوقت الذي فيه ، ايضاً ، كرّست نفسها للشعر ، مشيدة عملاً شعرياً ، هو الأهم ، في أدبنا .

هذا ما جعلني افكر في قصائدها ، وفي التناقض الذي حملته هذه الاشعار للكاتبة نفسها :

«من يرتفع في الهواء لا يبقى على الأرض

ومن يبقى على الأرض لا يرتفع في الهواء»

لا أحد ارتفع أكثر منها ، في مجال الشعر ، بينما ظلّت قدمها
-كمريّة- ثابتة في الأرض .

الوضوح والموضوعية وكذلك الجمال تداخلت بانسجام في
عملها . ولئن كان بدون الوضوح لا تستطيع ان تفكر جيّداً في
التربية ، وبدون الموضوعية لا تستطيع ان تبني في مجال التربية ، فإنه
بدون جمال لا يكون للتربية اي هدف .

روث روشة Ruth Rocha

مقدمة الطبعة الأولى

هذا الكتاب يمكن ان يعتبر كتاباً كاملاً من نوعه ، إذ أنه لم يغفل عن أيّ عنصر من العناصر الضرورية لانجازه :

قبل كل شيء فان المقومات الداخلية والخارجية لمؤلفته تفوق الحدود الطبيعية . وهذه هي الصفات الذاتية والمكتسبة لتتصور وتؤلف ، وفي النهاية تنجز عملاً أدبياً متقناً ، وفي منتهى الرقة .

في الحقيقة ، في روحها تفاعلت هذه الصفات وابدعت برعم الشعور أو الحساسية والبراعة في الاختيار ، وفي الكتابة ، والمعرفة المتعمقة بالموضوع حتى الجذور ، وأخيراً ، وليس آخراً ، الشاعرية الناعمة التي هي شكل من أشكال الحدس والادراك العام .

على الرغم من أن الكاتبة معلمة وسيدة التقنيات الأدبية الأكثر عصريّة . فلربما كان ينقصها بعض الأشياء الجوهرية ، لو لم تكن محظوظة بهالة من الشعر توهبها خصوصية الحاسة السادسة ، وتتوهج تلك الوسائل (التقنيات الأدبية) بالإدراك وروح النقد .

مهمة للتربية الابتدائية تحديداً ، لأنها تتعامل مع التعابير الأكثر تهذيباً للحساسية الإنسانية . لها صعوباتها التي تقلّ في النقاط

الجوهرية ، إلا أن موهبتها الشعرية تدلّ ذلك إذ تضيئه وتسكب فيه مفهوماً جديداً من المعرفة ، قادراً على أن يسويّ المجال الملتبس والصعب للعالم الأخلاقي ، الحسّي والمادّي للأطفال . وان يفهمهم طبيعته الجغرافية الخشنة . بدون قليل من الزهر في القلب لا يمكن فهم طبيعة الأزهار ، وأقصى ما يمكن ان تفعله هو أن تتطلع اليها بعيون جافة ، وتعمّدها باسماء قبيحة ، وفي لغة ميتة .

من اجل ذلك علينا ان نعتبر ان لسكرتارية التربية حظاً نادراً ، إذ استطاعت ان تحصل على مساعدة مدهشة من «سيسيليا ميراييل» لعمل هذا الكتاب .

ولئن اسند أمر هذا التكليف لإدارة التعليم العام في «ميناس جيراييس Minas Gerais» ، فلأنها قاست وشعرت ، بشدة ، بالضرورة القصوى لإنجاز عمل واضح ، يساهم في تخفيض الصفات الدونية ، الى الحد الأقصى ، لنوعية الأدب الموضوع ، بشكل عام ، في تناول الاطفال في بلدنا ، لتختفي ، في النهاية ، هذه الصفات من الوجود .

لا شك ان ذلك الجهد في دعوة الرأي يقتضي ان يكون مركزه المدرسة الابتدائية ، وعن طريق معلمها الذي هو مهياً ، بشكل كاف ، ليكون في مقدوره إثارة ردود فعل متتابعة ، قادرة ان تشمل البيئة في مكان تواجد المدرسة ، ثم تمتد قليلاً حتى تعمّ كل المجتمع .

الخطوة الأولى كشفت عن وجود مشكلة ، تبين أن شريحة كبيرة من الرأي العام ليس لديها ، حتى ولا من بعيد ، اي شك

بوجودها . وبالمقابل لا بد من تنبيه السلطات العامة حتى تتعهد مسؤولية التصرف المناسب للظروف ، وتنبيه دوائر النشر لدينا ، أيضاً ، حتى تنشط ، من خلال اختيارات دقيقة للأعمال الأصيلة ، في حركة واسعة ، لغاية طباعة كتب جديدة باطفالنا ، من حيث جمالها المادي ، وجمالها الأدبي ، لتهبط وتنسحب الكتب الأدبية المزيّفة ، وتوضح ، في النهاية ، خطة لاختفائها جميعاً .

للمربي "كلا باريد Claparède" القول المأثور : «وجدت الطفولة لتلعب وتقلّد» فمن يقلّص امكانية اللعب أو الألعاب من الطفولة كمن يبتز جزءاً منها .

إلا أن ما تفرزه الحضارة المفجعة ، في ايامنا هذه بتأنٍ وحرص ، وبشكل منظم ، هو تقليص تلك الامكانيات ، أو تبديل اللعب بصورته الهزلية ، أو المزيّفة ، بشكل يخدع الحسّاسية ، ويشوّه الغريزة العفوية عند الطفل .

واحدة من اشكال اللعب التي تأتي مزوّرة أو مشوّهة ، هي القصة المحكية ، أو المقروءة المؤلفة للأطفال ، هي الأدب الطفلي .

عملية التزييف هذه تتخذ لنفسها ، بين عمليات اخرى ، مظاهر مميّزة ومستقلّة ، إذ اعتادوا ، وفي حالات قصوى ، ولتعميم المصيبة ، ان يجعلوا منها رفقة جيدة لـ : أفكار غير مهذبة ، ولغة غير مناسبة ، نص غير منفصل عن الصورة ، وهذا يعني ان النص والصورة يشكّلان كلاً واحداً . وهكذا يتبيّن ان الامر ليس فقط استبدال الموضوعات الثقافية بموضوعات غير ثقافية ، واستعمال لغة غير مناسبة ، وانما ايضاً الاصرار وبقوّة ، على ان تكون الكلمات غير

مستقلة عن الصورة - إذ تبدو دائماً ممتزجة معها - تبديل الكلمات بالرسم أو الصورة، بالمفهوم الطفلي، يفقد الأولى معناها وقيمتها الرمزية، وينتهي الى لا شيء.

النتيجة القصوى هي أن الخط البياني الجيني للقدرة الشفوية للطفل - وهي الوسيلة الأكثر غنى في التعبير وفي التكيف الاجتماعي له - حتماً سينقطع ويضحى به. وهذا ما يشوه، وبخطورة، شخصية الطفل في مرحلة التكوين.

هذه نقطة مهمة من النقاط التي عرضتها الكاتبة، وناقشتها بفطنة كبيرة.

الطفل، في جوهره، هو انسان يبني، ويبني بتصوره أكثر مما يبني بيده. لكن اي بناء يستلزم مواد خارجية للبناء. والقصة، بأي شكل كانت، هي مادة ذات مضمون ممتاز للخلق بالنسبة للطفل الذي، عن طريق هذه المواد، يبني نفسه. والبناء يعتمد، بشكل واسع، على نوعية المادة، أو - هكذا حسب نوعية القصة التي يسمعاها الطفل أو يقرأها، تتحدد، بشكل كبير، نوعية البناء الذي سيشيده، والذي فيه تبرز شخصيته وتنمو وتتكامل.

من هنا كانت الجدّية والأهمية لهذا الكتاب الذي، بطبيعته الفطرية، أيّ، الانسانية والشاعرية، وبوفرة المعلومات الأدبية، وجمال الاسلوب، وبحاسة النقد، يمكنه أن يدخل ضمن «مجموعة ثقافية» لسكرتارية التربية. والحقيقة ان التربية، رغماً عن سماتها التقنية، فإنها تتضمن بالضرورة أغراضاً ثقافية، وتتطلب معلومات مميزة من الفن والدقة والحساسية.

طباعة هذا الكتاب ستزيد من قيمة «المجموعة التربوية» بشكل فائق، وفيه سيجد المعلم في «ميناس» دوافع لا تحصى تمتع روحه، وتأمّله، وثروته الثقافية، وتكمّل أدواته التقنية.

للشاعرة الكاتبة والاستاذة «سيسيليا ميراييل» -التعبير المتألق للثقافة المعاصرة- اشكر باسم الحاكم اللامع «ميلتون كامبوس» نبل هذه المساهمة بكل سماتها البديعة، وجهد إدارة التعليم في الولاية في تحقيق النفع، السرور، السعادة لأطفالنا، عن طريق ذلك الشكل الاعلى من الحلم، في اللعب والبناء الذي هو الكلمة الانسانية التي تروى على مسامعهم، أو تضيء أعينهم بشكل مدهش

ابغار ريناوالت Abgar Renault

توضيحات أولية

الكتاب الحالي يشتمل على ثلاث محاضرات قُدمت في «بيلو أوريزونتي» في دورة خلال العطلة المدرسية ، نظمتها سكرتارية التربية في كانون الثاني عام ١٩٤٩ حول الأدب الطفلي . ثم طُلب من الكاتبة ان تكون تلك المحاضرات مكتوبة . فضلت الكاتبة عندها ان تعيد سبكها ، مغتنمة المناسبة لتطوير بعض النقاط ، التي بالكاد كانت تطفو في العرض الشفهي لها ، ولمضاعفة بعض الأمثلة لتحقيق مزيد من الوضوح لعدة تلميحات .

وهكذا ظلّ جوهر تلك المحاضرات مستمراً هو نفسه ، وعدّل توزيع المواد لينسجم مع شكله المكتوب ، مع المحافظة ، بقدر الامكان ، على طريقة عرضه الشفوية .

ما ادّعت الكاتبة هنا ان تعطي حلاً للمشكلات التي لا تعدّ في الأدب الطفلي ، حاولت فقط ان تصرّ على أهميتها ، وتعرض بعض وجهات النظر حولها .

لو استطاعت الكاتبة ، في هذا الموضوع ، ان تعبّر عما ترغبه ، لتجسّد هذا التعبير في تأسيس مكتبة طفلية على مستوى العالم تُجهّز

للطفولة في كل بلد من أجل توحيد الثقافة في قواعد، يمكن ان تدعى، وبشكل هامشي، «الانسانية الطفلية». على أمل أنه إذا تفهمها كل الاطفال يمكن للرجال بعدها ألا يتخاصموا.

انما كل ذلك لا يعدو ان يكون أكثر من طموحات في تلك الصفحات. إذ خارجاً عن الخريف الأكيد لا تنضج الطموحات، لكنه بين كل الأوقات لا يزال يسمح بتقديم خدمة. والكاتبة تشكر الفرصة التي أتاحت لها ان تقدم هذه الخدمة الصغيرة.

سيسيليا ميراييل ١٩٥١

مشكلات الأدب الطفلي

الأدب العام والأدب الطفلي:



فالاطفال، في الحقيقة، هم الذين يحدّدون الأدب المفضّل لديهم. لقد اعتدنا ان نصنّف كل ما كتب للاطفال على أنه «أدب طفلي»، بينما الأصحّ ان يكون التصنيف على أساس ما يقرأه الأطفال بفائدة وسرور. فلا وجود لأدب طفلي «سابق» بل «لاحق».

والفوضى في هذا الأمر تنتج عن افتراضنا المشكلة في اللحظة التي نؤسس فيها «أدباً طفلياً»؛ تخصّصاً أدبياً، هادفاً، بشكل خاص، القراء الصغار. وعلاوة على «أدب الاطفال» توجد «كتب للأطفال». وتصنيفها ضمن الأدب العام مهمة صعبة للغاية، لأن الكثير من هذه الكتب لا يملك، في الحقيقة، صفات أدبية، وكل ما يقال عنه، ببساطة، انه مكتوب فقط.

والالتباس في هذا التصنيف يحدث بسبب ان الفن الأدبيّ عمل يتمّ بواسطة الكلمات. لكنّ صفّ الكلمات الى جانب بعضها بعضاً لا يكفي، بالطبع، لتحقيق عمل أدبيّ.

ولنصل الى لبّ المسألة علينا أن نزيل عائق القول بـ«كتاب طفلي» الذي، في الحالة الحاضرة، يشوّش التمييز والتصنيف.

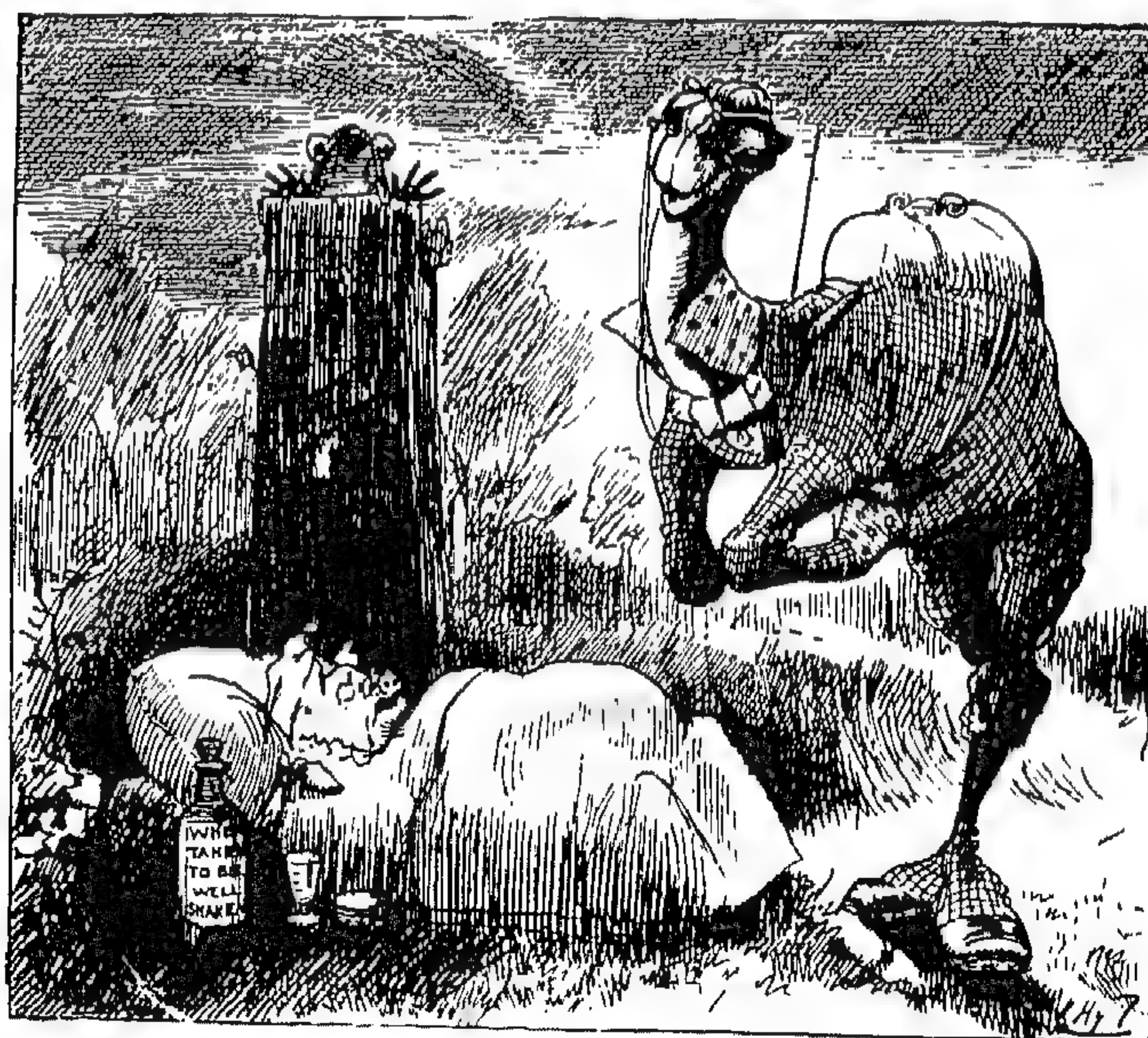
الكتاب الطفلي



التي ليست اكثر من كتب «تعليمية» ؛ اي انشاء أدبي للعلاقات التعليمية وفق برنامج محدد .

لكن ليس من السهل دائماً ان نخطّط لوضع حدود أو دراسة واضحة في هذا المجال ، الامر الذي قد يتمّ فيما لو تطورّ نظام التربية ، بحيث تصبح هذه الدراسة محبّبة ، تختار للكتاب التعليمي اساليب وموضوعات تكاد تحوّل الى كتاب من كتب القصص العجائبية . انما حتى ذلك سيترك البعض مشكّكاً في هذا التبسيط الزائد ، لا يعرف فيما اذا لا تفقد هذه الدراسة المسهّلة ، في الأزمنة الأخيرة ، الكثير من جدّيّتها ، وفيما اذا لا يبدو الكتاب امام الأطفال كشكل من اشكال لعبة كرة الزجاج .

الكتاب الذي يفصله الطفل



عالمهم ، تآلفوا مع أبطالها ومغامراتهم ، حتى عاداتهم ولغتهم وطرقهم في الحلم ، ومجدهم وفشلهم .

ولا خوف من كتاب غير مناسب للأطفال الا إذا قُدِّم (اعد) كقوة جارفة ، ونُشر بوضوح مؤكداً على العصر الذي أنتجه ، كما لو كان كتابه المقدس .

لكن ، حتى في هذه الحالة ، فان الكتب الجيدة والكبيرة ، القراءات الخالدة ، تستطيع ان تخفّف أو تصحّح من الخطر الذي يتعرض له الطفل في فوضى عالم محطّم تماماً ، فيه تتذبذب مفاهيم الناس حتى فيما يتعلق بهم .

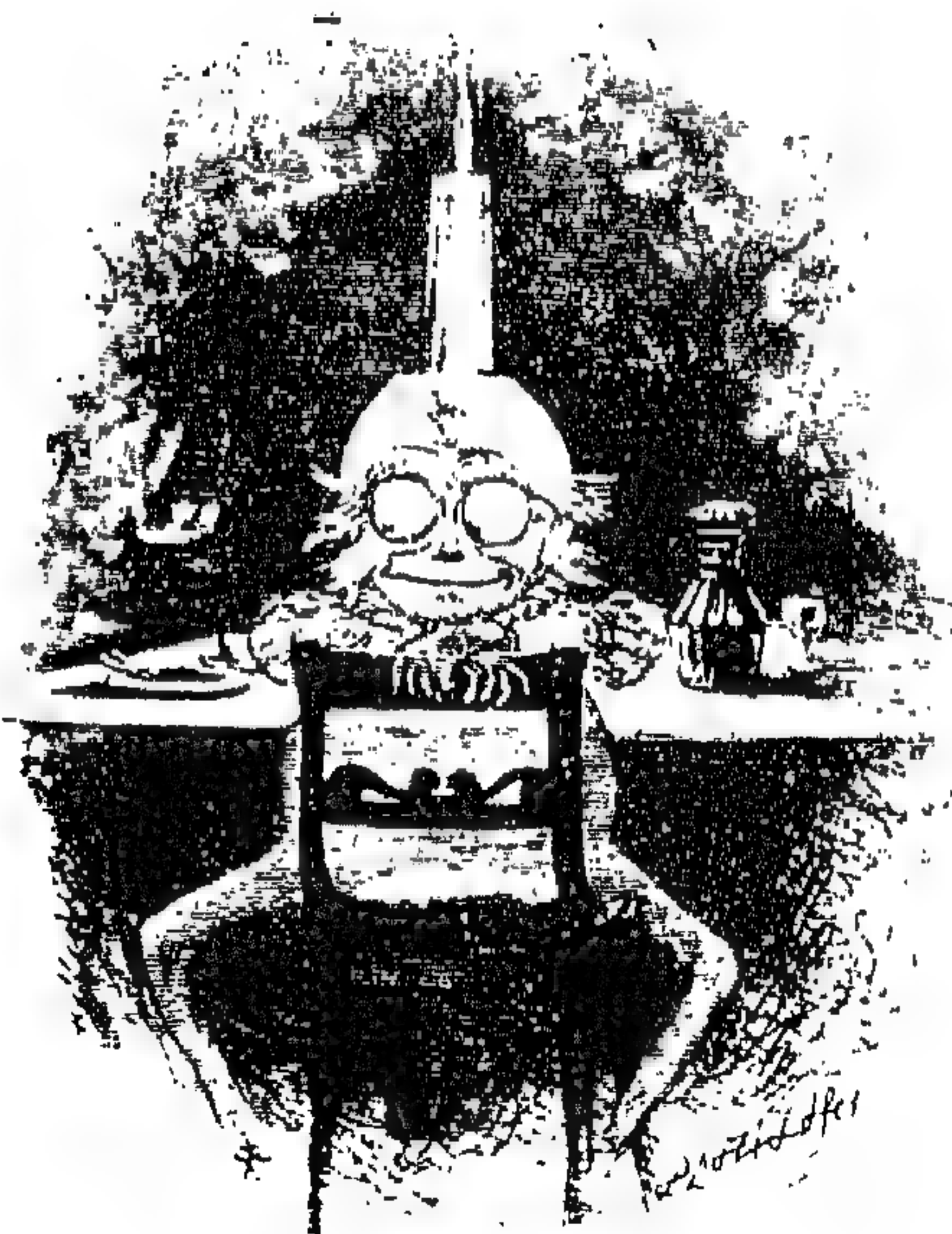
الادب ليس ، كما يفترض الكثيرون ، تسلية . بل هو «غذاء» ، والنقد ، ان وجد ، بالنسبة لكتب الاطفال ، عليه ألا يبخس بحق خصائص التنشئة الانسانية التي تقدم الكتب بشروط يتقبّلها الأطفال ، وتترك لهم دائماً حداً من الغموض كي تكتشفه الطفولة بعبقريّة حدسها .

أفاق الأدب الطفلي



مع حكايات الشعوب الأخرى ، والتي يمكن التعرف عليها ، أحياناً ، بسبب التشابه بينها ، إذ تتكامل ويضاف اليها معلومات جديدة وتمتزج مع غيرها ، وتصاغ من جديد ، وتستمرّ تنتشرو وتنتشر . . في النزل ، في الأديرة ، في محطات الاستراحة ، في الخانات ، في ساعات الراحة ، تغنى بالمحادثة المستمدة من خبرات العالم ، حكمة الشعوب ، تحت ذلك الشكل من التأليف الشفوي المكرر تقليدياً ، والمسموع دائماً بشيء من الافتتان والاقتناع . . .

من الأدب الشفوي الى الأدب المكتوب:



ولذلك في التقديم لكتاب الكونت «لوكانور Lucanor»
«يتوسل الى الذين سيقراءون أيّ كتاب منسوخ عن الكتاب الذي ألفه
أو أعدّه، أن لا يلوموه اذا وجدوا بعض الكلمات في أماكن غير
مناسبة، حتى يروا الكتاب الخاص الذي أعدّه دون خوان مانويل،
والذي صحّحه في كثير من الأماكن بنفسه».

من هذا المقطع يمكننا ان نتصور ان النقد في ذلك الزمن لم يكن
متساهلاً جداً.

بعض الخبرات



«ho ، «اللحية الزرقاء Barba azul» ، «القط ذو الجزمة Ogato de
«botas ، «الجنيات As fedas» ، «قطة الموقد Agata borralheira» ،
«المتكبر ذو العرف Riquete de crista» ، و«الابهام الصغير O pe-
«queno polergar» كانت قصصاً شعبية ، ليس فقط في فرنسا ، ولكن
في العالم كله . وقد تمثلتها العادات بحيث ان القليل من الناس ، كان
عندما يقصّها ، يعرف أنها من جمع «بيراؤولت» .

